مؤسسة البشريات

1436هـ – 2015 م
قسم التفريغ

تفريغ خطبة

(خطر القومية والقبلية على وحدة المسلمين)



للشيخ

أبي قتادة عمر بن محمود

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

خطر القومية والقبلية على وحدة المسلمين

للشيخ/ أبي قتادة عمر بن محمود (حفظه الله)

من سلسلة خطب الشيخ أبي قتادة القديمة

مجموعة البُشْرَيات

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وتركنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على المحجة البيضاء، والطريق الواضح، ليلها كنهارِها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكبها إلا ضال.

أما بعد؛ من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالًا بعيدًا.

أيها الأحبة في الله، عدونا الشيطان، ورحماننا ورحيمنا رب العزة والجلال، وللشيطان سُبل كثيرة تعلمها ومارسها على هذا المخلوق الضعيف –هذا الإنسان–، و قد ركب الله –عز وجل– في الإنسان فِطَرًا ونزعات، وركب فيه غرائز بها تكتمل إنسانيته، فالإنسان تميل نفسه للطعام والشراب، وتميل نفسه إلى المنكح والملبس، والشيطان يدخل إلى الإنسان من هذه الغرائز، ومن هذه الفطرة؛ لأنه لا يمكن للشيطان أن يصيب مراده إلا إذا دغدغ مراد الإنسان، وولج إلى مراده من مراد الذي يريد أن يصطاده وهو هذا المخلوق الضعيف، ورب العزة والجلال كذلك سُنته، فإنه يسوق عباده إلى ما فيه فلاحهم ونجاحهم وسعادتهم بما تشتاق نفوسهم، ألا ترون أيها الإخوة الأحبة، أن الله –عزوجل– رغبنا بجنته العظيمة بما تحبه نفوسنا وما تشتاق إليه وما ترغب فيه؛ فذكر لنا الطعام والشراب والحور العين، وذكر لنا الحياة الرغيدة الجميلة؛ فالله يسوقنا إلى طاعته بما تحبه نفوسنا كذلك الشيطان؛ لأن هذا كله موافق للسنة في التعامل مع المراد.

فنحن قد ركبت فينا غرائز وخلقنا الله على فطرة ما وهذا كله لابد أن يستغل، فإذا سُقت الإنسان حتى إلى ما فيه سعادته من غير التعامل مع رغبته وشهوته فإنه يسنتكف ويعرض، وليس معنى هذا أنه لابد للحق دائما هذه الرغبة، فإن الحق في مرات كثيرة وفي أحايين كثيرة إنما يكون مع ما يضاد الشهوة، ألا ترون أن الله –عز وجل– أراد أن يحقق الخير العظيم والفضل الجليل لتاريخ أمة المسلمين ولتاريخ أمة أتباع الأنبياء عن طريق أمره جل في علاه بأن يذبح إبراهيم أبو الأنبياء ابنه إسماعيل الصابر، لكن هذا وإن كان فيه صعوبة ومشقة في الحال فإن فيه رحمة وعناية وخير في المآل كما يقول.

والشيطان يأتي للإنسان من رغبته وشهوته، والإنسان كما يقول سلفنا مدني بطبعه، اجتماعي لا يمكن أن ينفك عن بني جلدته، كما قال الله -عز وجل-: {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}؛ فالله-عز وجل- وزع البشر في العالم أجمع بطريقة سننية، وكلهم يتصل برجل واحد وامرأة واحدة، كلهم يتصل بأبي البشر آدم -عليه السلام- وبزوجته حواء، بطريقة سننية امتدت لنقل عشرات الآلاف أو مئات الآلاف من السنين.

حاول البشر الآن أن يكتشفوا كيف توزع هذا الإنسان، وكيف تعددت صوره، وكيف تعددت ألسنته التي جعلها الله -عز وجل- آية من آياته كما قال تعالى: {وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ}، مع أن اختلاف الألسن والألوان يجري كذلك مجرى السنة في توزع الناس في العالم.

والإنسان واحد، هذه قضية مهمة جداً لأن ربهم سبحانه وتعالى واحد، وخلقهم على فطرة واحدة، وخلقهم من طينة واحدة، وهم من أب واحد، وركب فيهم الغرائز والشهوات على نسق واحد، لا يختلف بين إنسان جبلي وبين إنسان سهلي، وبين إنسان أسود وبين إنسان أبيض؛ فالبشر ركبت فيهم الغرائز والشهوات على نسق واحد، ومثال واحد، فليس هناك فضل لا في عقل، ولا في مزاج، ولا في تركيبة الفطرة، بين إنسان وأخر.

والإسلام شأنه عظيم، يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: (لا فضل..) -وهذا نفي لأي نوع من أنواع الفضل يدخل فيه الفضل العقلي ويدخل فيه فضل الإرادة والعلم وتدخل فيه جميع أنواع الفضل- (لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى)، وهذا أيها الاخوة الأحبة شأن عظيم، الحديث عن هذا الكلام الساذج السهل اليسير شأنه في أنفسنا يجب أن يكون عظيماً، وعظمته لئلا يبغي بعضنا على بعض، ولئلا يفخر أحد على أحد.

ولكن الشيطان له مداخل؛ كما أن له مداخل في مزاج الإنسان وفي شهوته، كأن يدعوه إلى الربا والزنا وإلى شرب الخمر، فمداخل الشيطان في المعاني والأفكار -أي التي سماها علماؤنا بالشبهات- تعادل مداخله في ما يسمي بالشهوات، الشبهات والشهوات.

والناس قديمًا أيها الإخوة، فاضلوا -وهي نظرة نعوذ بالله منها تأثر منها بعض أهل الإسلام قديمًا- وسأمر على بعض هؤلاء المتأثرين، أهل اليونان مثلًا يعظمون جنسهم وعرقهم، وكذلك الرومان يعظمون جنسهم وعرقهم، وربما كان العرب يرون أنفسهم أنهم أفضل خلق الله، حتى قال قائلهم:

ملأنا البر حتى فاض عنا *** وماء البر نملؤه سفينا

مع أنه في هذا الافتخار الكاذب لم يكن يجد لقمة خبز يسد بها جوعه، أو لباسًا جيدًا يفتخر فيه، فهذا التمايز في الأعراض دعوة إبليسية، جاء الإسلام وقضى عليها، لا فخر لأحد، ولا فضل لأحد إلا بما يكتسب بعد ذلك من هداية أو ضلال من تمرين أو كسد وتأثر.

بعض علمائنا القدماء، وأقصد هنا العالم الفحل ابن خلدون، عندما ذكر في مقدمته على توزع الطبائع والأمزجة على خلاف الناس بين سكناهم، مثلا: أي على تأثر الإنسان بالمناخ في تغير مزاجه أو تغير قدراته، فصار الناس يفاضلون بين الأسود والأبيض كما ترون في هذه الحضارة الخبيثة، ترى أن أعظم الناس شأنًا هم البيض وأن الناس تنزل مترتبتهم بحسب الشكل وبحسب اللون.

وربما الجبلي يفتخر بقوته لمعاناته، يفتخر بقوته في بدنه لمعاناته في تحصيل كسبه على من هو يتحصّل على كسبه بأهون الأمور، وذلك لكثرة الطعام والشراب عنده، وأما في أصل الخلقة فلا يختلف الناس، وإنما تنمو عندهم قدرات ما في باب من الأبواب لاستخدام هذه القدرة ومراسها في تحصيل المطلوب، فلو أن مجتمعًا كان تحصيل الطعام والشراب لديه يحتاج إلى جهد ومشقة، فإن تنمية هذا الجانب العقلي بسبب المراس والتمرين والاستخدام تنمو على جانب آخر في رجل يعيش في منطقة كثيرة الطعام والشراب والأشجار، فلا يحتاج إلا أن يقطف منها، فينمو عقله هذا في جانب المراس وربما ذاك الرجل ينمو عقله في جانب آخر.

ولكن العقل واحد والإنسان واحد –وأتحدث هنا عن الأجناس– ولكن الفضل الإلهي بين شخص وشخص هذا فضل إلهي يتردد، لا بحسب المجتمع كله ولكن في المجتمع الواحد؛ ربما أنت ترى عائلة واحدة من أب واحد وأم واحدة، ترى هذا فيه نشاط عقلي زائد فيه ذكاء زائد، وترى أخاه خامل العقل في أقل منه، وليس هو على طبيعة الجنس ولا على طبيعة القبيلة.

فالقصد أيها الإخوة الأحبة أن الشيطان دخل إلى الإنسان من أجل التفريق بينه وبين أخيه على أساس العرق على أساس الشعب على أساس المناخ الذي يعيش فيه، فمثلًا ترون الجلد في أهل الصحراء وفي أهل الجبل، لماذا؟ لأنهم إذا حصلوا أرزاقهم نشطوا وتعبوا، بخلاف غيرهم ممن أعطاهم الله عز وجل الطعام والشراب سهلًا وميسوراً، وهذا ينشغل طيلة وقته بتحصيل الطعام وهذا الطعام لديه فإذا وجد فسينشغل عقله في شيء آخر وفي جانب آخر، ومن هنا ينشأ مبدأ الترف الذي حدّث عنه القرآن حديث المحذّر من وقوع الإنسان فيه، فالإسلام أيها الإخوة لا يعترف بتمايز البشر ولا بأجناسهم.

ثم وقعت مواقع إبليسية في نفس أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– ذلك لأن الدولة العثمانية قسمت بلدها ودولتها إلى مناطق، فهذه منطقة كذا لا لتوافق بين أهلها في العرق، ولكن لسهولة السيطرة عليها وإدارتها، فهنا باي وهنا داي، وهذه قرية تابعة لولاية كذا، وهذه قرية تابعة لولاية كذا، مع اختلاف الأعراق ربما في المتصرّفيّة الواحدة وفي الولاية الواحدة، وكان من شأن الشيطان وأتباع الشيطان من هذه الدول أن أرادوا أن يفرقوا الأمة ويقطعوا أوصالها، فلما وزعوا جلس سايكس وابن عمه بيكو جلسوا وقسموا الأمة هذا التقسيم، من أجل تسهيل الأمر استخدموا ما قسمته الدولة العثمانية من أجل تسهيل الأمر.

فصار هنا جزائر وهنا تونس وهنا المغرب، ما هو الحد الفاصل؟ وهنا مصر وهنا ليبيا وهنا لبنان، ما هو الحد الفاصل بين هذا العرق وهذا العرق؟ لا سوى ما صنعته الدولة العثمانية من تقسيم هذه الدولة المترامية الأطراف إلى ولايات ليسهل السيطرة وللتقسيم الإداري الذي لا بد منه.

فصار هنا جزائر وهنا تونس وهنا المغرب، ما هو الحد الفاصل؟ وهنا مصر وهنا ليبيا وهنا لبنان، ما هو الحد الفاصل بين هذا العرق وهذا العرق؟ ليس سوى ما صنعته الدولة العثمانية من تقسيم هذه الدولة المترامية الأطراف إلى ولايات ليسهل السيطرة وللتقسيم الإداري الذي لا بد منه.

فكيف هذا جزائري وهذا تونسي وهذا مصري وهذا شامي؟ فليس هناك من فرق بين الأعراق، بل تجد الآن في هذه البلدة من تمتد عشيرته هناك أو تمتد عائلته إلى بلد آخر، فتوزع الناس وكان قديماً هناك من المبررات إلى تمايز الناس إلى عشائر وقبائل، فهذه قبيلة كذا وهذه عشيرة كذا، فهناك نسب يلتقي بهم فهو نسب الدم والصُّلبية، لكن الآن ما هو التقسيم، لماذا هذا من دولة كذا؟ ما هو الذي يلتقي مع الدولة في شرقها وغربها؟

ولذلك جاء الفكر القومي اللعين الذي أراد أن يميز القوم عن القوم، دخل على بلاد المسلمين هذا الفكر اللعين وقطع أوصالهم، وقام له رجال وكتبوا فيه الكتب، ووصلت كتبة هذه الأفكار إلى سدة الحكم وتقرير المناهج التعليمية في بلادنا حتى أفرزوا هذا النتاج النجس المغروس في عقولنا ووجداننا مما يحتاج إلى جهود عظيمة لإخراجه من ثنايا أمخاخ عظمنا في أبداننا.

فساطع الحُصَري -عليه لعنة الله- وهو أول من أتى كداعٍ إلى الكفر القومي، وهذا رجل ملحد ودعى إلى تكتّل الناس على أساس القوم، هذا رجل وصل إلى وزارة التربية أو المعارف في زمن حكم فيصل على العراق، ولذلك هو يفكر و يقود هذا التفكير سياسياً لإعماله في داخل المجتمع، فكان الفكر القومي الذي تكتل الناس عليه وتجمعوا على أساسه، ولكن هذا الفكر القومي أيها الإخوة الأحبة هو إطار يجتمع الناس فيه، لكن على أي دين يتدينون؟ ومن أي منهج يستقون ليعيشون؟

الفكر القومي لا يعطي منهجاً وإنما يعطي صيغة تجمع وإطار يعيش الناس فيه، فكان لا بد من حشو لهذا الإطار، كانت أفكار كفرية أخرى توافقت في دخولها في أمتنا توافقت مع الفكر القومي في الدخول والإتيان، ألا وهي الدعوة إلى الشيوعية والاشتراكية، فالتقى دعاة الفكر القومي مع دعاة الفكر الاشتراكي وتزاوجوا بينهم ووصلوا إلى سدة الحكم، تزاوجوا من خلال الأحزاب القومية اليسارية كحزب البعث، ووصلوا كذلك إلى سدة الحكم.

ولكن الشيطان لا يرضى، الله -عز وجل- يقول: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} هذا هو الأساس في التفريق بين البشر {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}؛ بين مسلم وكافر بين سني وبدعي بين صالح وبين فاسق، هذا هو أساس التفرقة عند الله عز وجل، حتى في تمايز الناس وفي افتراقهم وفي حروبهم وفي حركاتهم، ألا ترون ذا القرنين كيف خرج إلى العالم وتميز العالم عنده بين مسلم وكافر؟ ألا ترون قتال الأنبياء؟ داوود -عليه السلام -، محمد -صلى الله عليه سلم-، تمايزوا على أساس الدين فلا فرق.

فجاؤوا لا بد من تقطيع أوصال الأمة من خلال نزعة التجمع {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} فتم التفريق على أساس الشعوبية، وهي دعوة قديمة حذر منها علماؤنا، و لكن هذا أيضاً ولو تم ولم يقع الأمة لا تجتمع إلا على أساس الدين، وهذه كلمة قالها علماؤنا وقالها بعض الدارسين منهم من ذكرناه تخطئة ونذكره الآن تصويباً له، أن هذه الأمة لا يمكن أن تجتمع إلا على الدين، حتى الفكر القومي فكر أكثر اتساع فيجتمع الناس، مع أنه فكر شركي حيث قالوا: لا دين يفرقنا، لا دين! الدين لا يفرق! وإنما التفرقة على أساس عربي وغير عربي.

جاءت اللعبة الإبليسية الأخرى حتى الفكر القومي الشيطان جعله وسيلة لما يسمى بالدولة القطرية، الناس عرب حتى لو كان الجزائري قاتل فالمصري يتعاطف معه على أساس قومي، مع أن الأمة في مشاعرها تتحرك بالإسلام فكانت النهاية، وستكون هناك مشاريع جديدة ستأتي لهذه الأمة لتزيد تقطعتها وسنذكر هذا، حتى هذه الدولة القطرية جاءت وجمعت الناس على أساسها، الآن ليس التجمع على أساس الأعراق ولكن على أساس هذه الدولة هذا فلسطيني -فلس من الطين طيني-، وهذا لبناني وهذا سوري، والشيطان ينشئ الحروب بين هذه الدولة القطرية الذين كلهم من قوم واحد وقبل ذلك كلهم من دين واحد كلهم، وينشئ بين هذه الدول من الحروب ما يوصل العداء بين دولة ودولة على أساس هذه الدولة، ألا ترون الآن أيها الإخوة الأحبة ما يقع من الحروب بين دولة وأخرى فيتم افتخار الناس بنصرهم على أخرى وبحقد المهزوم والذي أذي من الدولة التي آذته، عراقي كويتي.

أي شيء سيجمع بينهم؟ يمني، سعودي، لبناني وسوري، جزائري ومغربي، والدول تنشئ الحروب ليتم، أين قتل أبوك؟ في حربه مع المغرب، أي قتل أبوك؟ في حربه مع الكويت؟ أين قتل أبوك؟ في حربه مع العراق.

فيتم الحقد والسوء بين الدولة والدولة حتى هذا الشيطان لم يقنع فيه، لا بد من شيء آخر؛ لا بد حتى في الدولة الواحدة لا بد من التنازع والتفرق ولا بد من الاستعلاء، لا بد من الاستعلاء والافتخار في الدولة الواحدة، فتجد في الدولة الواحدة كما في مصر يقال هذا صعيدي وهذا بحري هذا قِبلي وهذا بحري، ويقال في دول هذا شمالي وهذا جنوبي، ويقال في دولة كما في ليبيا هذا شرقي وهذا غربي، ويقال في الأردن هذا جنوبي وهذا شمالي، ويقال في الجزائر أنت من الشرق أم من الغرب، وهكذا يبغي بعضنا على بعض والشيطان يغذي هذا والدولة تغذيها؛ لأن الشيطان لا يمكن أن ينشأ إلا على التناقضات، ليس فقط الشيطان، ما من أحد يريد أن يفرض نفسه إلا وينشئ التناقضات على خصمه من أجل أن يقوى هو، قاعدة: "فرق تسد".

هذه ليست قاعدة إبليسية هذه كذلك قاعدة سننية، حتى أنه يجب على أهل الإسلام أن يستخدموها مع خصومهم للتفريق بينهم ليسهل ضربهم، فهكذا يتم في داخل البلد الواحد القتال على هذا الأساس والتفرقة على أساس البلد الواحد لا يسلم ولا يلتقي.

وهناك من المغذيات من بؤر الكفر الموجودة في بلادنا، كالرافضة، كالدروز، كالإسماعيلية، كالإباضية تغذي هذا، وهناك بعض الناس ممن لم يبق مع العرب ويريد أن يحيي لغته القديمة، يريد أن يحيي دينه كما يقال الآن في مصر الفراعنة، لبنان الفينيقيين الأكراد، وكله لتقطيع أوصال الأمة ولتدميرها وهذه عقيدة، كما أن المسلم يقاتل في سبيل الله وفي سبيل دينه ولإعلاء كلمة الله، فيصبح الناس يتقاتلون على أساس هذا الشعار.

لا تقول هذه قضية يسيرة، هذا قضية الآن حتى أهل الإسلام قد تفرقوا عليها وتنازعوا عليها وافتخروا بها وتوزعت التنظيمات المسلمة على أساس هذه الأقطار ليست القومية القطرية الضيقة، وحتى توزعت تنظيمات في داخل الدولة الواحدة على أساس التفريق الذي ذكرناه، ولا ندري أين يتم.

أي إن المسلم رضي هذا القرار واستقر به وقبله وصار المشايخ يتحدثون عن شرعية هذا الفعل كيف؟ نظام الجنسية أو التابعية، هذا النظام الشركي الكفري، نظام الجنسية هو أول نظام كفري صنعته الدول، وأتت به المشايخ الآن وهذا ينبئ عن كفر الدولة، كما قلت سابقاً يجب عليك ألا تنظر لإسلام الدولة وكفرها من تصريحات وأحاديث وزير

الأوقاف، وزير الأوقاف سيتحدث عن المشايخ والمساجد، أنظر إلى الأساس الذي تم إيجاد الدولة، على ماذا اجتمعت الدولة؟ هل اجتمعت على الإسلام أم على الكفر؟ كيف نقول هذه الدولة اجتمعت على الإسلام أو على ضده؟ فانظر إلى أساس الولاء، دولة إسرائيل دولة يهودية، تقول يهودية، لماذا؟ لأن أساس الولاء بين أبناءها هم اليهود، فبمجرد أن تطأ رجل اليهودي أرض فلسطين تُعطى له الجنسية، وله الحق أن يترشح للبرلمان عندهم وله الحق أن يترشح إلى رئاسة الوزراء وإلى قيادة الدولة، فهذه دولة بحق دولة يهودية دولة عقدية، فنظام التابعية هذا يقول أنت تنتمي لهذه الدولة ولا تنتمي لهذا، يدل على أن التجمع على أساس الانتماء.

ومن هنا فنظام الجنسية في ديننا كما قال سيد قطب –عليه رحمة الله– : "جنسية المسلم عقيدته"؛ وتكسب أيها المسلم أينما كنت على ظهر الأرض تكسب جنسية دولة الإسلام بمجرد الهجرة إليها ومبايعة أميرها وخاصة على أمر الجهاد في سبيل الله، حتى ضد قومك وبلدك وأهلك.

لا تقل هذا حديث ممجوج أو لا قيمة له، لا، هذا حديث أنتم تتعاملون به وتتوزعون على أساسه، وتتصادقون على منهاجه، وتوالون على أساسه، وحتى كما قلت لكم التنظيمات الكبرى والصغيرة إنما تتحالف على هذا الأساس وتتقاتل وتتخاصم على هذا الأساس، هذه الدولة المسلمون لتروا، سأضرب لكم مثلاً ولا تستثنى أي جماعة (..**انقطاع في الشريط**).

عندما أراد الأفغان أن يوجدوا لهم دولة في المنفى، الدولة التي تكونت واعترفت بها الدول الكافرة التي تسمت إسلامية في داخلة منظومة المؤتمر الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، مع أن الجهاد الذي قام به أهل الإسلام جميعاً من جميع أقطار الأرض، أتى العربي وأتى الملايو وأتى الصيني وأتى التركستاني، جهاد شاركت فيه جميع طوائف المسلمين ولبى الناس نداء الجهاد على أساس الإسلام، لما تكونت الدولة وضعوا جميع وزرائها وجميع مخدوميها من أهل بلدتهم، حزن الشيخ عبد الله عزام –عليه رحمة الله –وقال: أما كان يسعهم أن يضعوا واحداً منا فراشاً لوزارة، ما كان يسعهم أن يضعوا رجلاً منا فراش يعني خادماً في وزارة، خرج الناس يسبونه قالوا: استوزر الشيخ عبد الله عزام – أي طلب الوزارة–!

مع أن هذا هو أساس الإسلام وهذا هو دين الله.

الدولة القومية لما أنشئت في مطلع هذا القرن، لم تكن تنظر ما من دولة قومية أنشئت في بلد إلا وأخذت من أهلها، عبد العزيز آل سعود الملعون، كان بعض وزرائه كانوا من المصريين وكان بعض سفرائه من غير أهل البلدة لأن الدولة قومية، لما أنشأ السنوسي الملك في ليبيا كان بعض وزرائه من غير كذلك الليبيين فهم قوميون، ولكن أهل الإسلام في هذا العصر يرفضون أن يصبحوا أمثالهم في تجاوز هذا الأمر، مما دعا إلى التفرق والتشتت، مما دعا إلى المناحرة وإلى المقاتلة، وهذا أيها الإخوة من ألاعيب الشيطان ومن إفساده.

ويأتي الشيطان ليغذيك عن طريق رؤية الخطأ في قوم ما، وهذه أمزجة فربما أنت يعيش كلك في الخطأ، وتعيش أنت بجميع الأمور في الفساد، ولكن الذي –هذه قاعدة نفسية– يعيش في الخطأ ويستمر عليه، يسمى هذا في دراساتهم قال: يسمى بظاهرة العطر، يعني المرء الذي يطِّيب الناس لا يشعر بالطيب لا يشعر بالرائحة، فالمرء لما يستمرئ صفة ما وهيئة وتصرفاً ما فلا يشعر بالخطأ، لكنه إذا نظر إلى غيره يراه أو نظر غيره إليه يراه.

فما من شعب إلا والآخر يسب عليه ويحتقره ويذكر فيه مثالبه، ولو ذهبنا نستقصي لطال المقام وظهرت المخازي، فما من قوم إلا ويتحدثون عن الآخرين، بتضخيم أخطائهم وهم ينظرون إلى أنفسهم فلا يجدون خطأ، فتنشأ في نفس كل واحد منا العظمة على ما هو عليه واحتقار الآخر.

ومرة أيها الإخوة، قلت لرجل ذكي في بلد واحد يوجد تنظيمان، قلت له: لماذا لا يتفقان؟ قال: والله لو أزلنا الفارق بينهما هو فقط أن هذا من الشمال و هذا من الجنوب، هذا يحتقر هذا، وهذا يحتقر هذا وليس هناك من مبرر بينهم، نحن نتكلم عن الصفوة أما العوام فحدث ولا حرج، أما العوام فحدث ولا حرج من الاحتقار، حتى بين القروي والمدني، هناك أفراد من تنظيمات مسلمة خرجوا منها لأن التنظيم مدني ويرفض أن يكون في قيادته رجلًا قروياً وهكذا.

شيطان يتلعب في إفساد عقيدة المسلم بأن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأن هذه الأمة بجميع طوائفها شيء واحد لا يفترق واحد عن آخر، وأن أساس الحب والولاء، أساس العداوة والبراء إنما هو دين الله –عز وجل–، أسأل الله –عز وجل– لنا ولكم الرحمة.

فيا أيها الإخوة الأحبة، دين الله عز وجل شأنه عظيم، وفتن الشهوات تذهب ويستغفر المرء منها، ولكن التوبة من الشبهة قل ما يقع، ولذلك قال سلفنا: "ليس لمبتدع توبة"، المعنى أنه لو أراد أن يتوب لا يقبل الله منه؟ الجواب: لا، يقبل الله منه، ولكن شأن المبتدع ألا يكتشف بدعته لأنه يظن نفسه على الصواب، والشيطان يغذيه ويدلل له بأقوال بعض أهل العلم، كما ذكرنا شأن ابن خلدون وغيره من أهل العلم، حتى يوجد كلام لابن قتيبة وهو الرجل الذي وقف للشعوبية وُجد له أسوأ من كلام ابن خلدون وهو متقدم، في التفرقة بين الناس والناس على أساس اللون، بل إن بعضهم وضع أحاديث مكذوبة ضد شعوب، كقولهم عن الزنجي أحاديث موضوعة! لا أريد أن أذكرها لسوئها وكذبها، وضعت أحاديث مكذوبة من الزنادقة للإساءة إلى الرجل من جهة لونه، والناس في تجاربهم يذكرونه ويتحدثون به، والأحداث تغذيه والطاغوت يدفعه، المعارك تنشأ حتى تنشأ القصائد، والله لو قُدّر لي لقرأت لكم قصيدة لكويتي أين يلقيها؟ لا بأس أن يلقيها في المزبلة أو يلقيها في السوق فهي حديث رجل عابر لا قيمة له، ورجل ساقط لا يسمع له، أما أن تلقى هذه القصيدة في احتقار العراقي ليس في حديث عن صدام ولا عن البعث، ولكن أنا كويتي وهذا عراقي لا يلتقيان، دم أحمر ودم أزرق أين يلقيها أيها الإخوة الأحبة؟ يلقيها في إحدى الجمعيات الإسلامية التي ترفع شعار السلفية والناس ينبسطون لها، وهكذا!

من الذي دمر الناس؟ من الذي قضى عليهم؟ انظروا إلى الشعوب ما أغباها؛ صدام لم يدمر فقط الكويت دمر شعبه، لكن هل فطن أهل الكويت الذي دمرهم وأخزاهم قبل أن يأتي صدام إليهم هم حكامهم؟ هم حكامهم هم أول من دمرهم، وهم الذين ميزوا الناس وقتلوهم حتى وصلت إلى هذه الحالة، فهكذا أيها الإخوة الأحبة، يجب علينا أن نستفيق من هذا وأن نوالي على أساس الإسلام، وأن لا نسمح مهما بدا في أنفسنا صواب هذا المقال أن لا نسمح في مجالسنا بأن يتحدث حتى لو أراد أحد أن يخرجها عليه أن يتربى أن لا يخرجها، وإذا أراد أحد أن يخرجها يقول: والله هنا هؤلاء الناس من البلدة لا يُحبّوا، أو فيهم كذا وكذا، نقول له: اتق الله، إنما الأساس هو على أساس الإسلام

وعلى أساس الدين، حاكم نفسك على أساس الدين، حاكم غيرك على أساس الدين تسعد ويشقى إبليس وأتباعه ويكون الناس أمة واحدة.

نسأله –سبحانه وتعالى– أن يغفر لنا وأن يتوب علينا وأن يوفقنا.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك وأيدهم بتأييدك ووفقهم بتوفيقك، اللهم اربط على قلوبهم بالخير والهدى والتقى والإيمان، اللهم وحد بين كلمتهم اللهم عليك بأعداء المسلمين من اليهود والنصارى ودمرهم تدميراً يا أرحم الراحمين، اللهم فك أسر إخواننا المساجين، وأعدهم إلى أهليهم وذويهم وإخوانهم سالمين يا أرحم الراحمين،اللهم اقض حاجاتنا، حاجات الدنيا والآخرة، وأقم الصلاة.